

الاسم واللقب: زكرياء قرناح

الرتبة/ التخصص: دكتور / دراسات تاريخية في العصر الوسيط.

الهاتف/ البريد الإلكتروني : 0559433246 / guernahzakaria91@gmail.com

مؤسسة الانتماء: جامعة الجزائر 02 - أبو القاسم سعد الله.

المحور الثاني: التعامل الفقهي والصوفي عند علماء الغرب الإسلامي في معالجة الآفات الاجتماعية.

مجال اللصوية: اللصوية المنظمة.

المدخلة:

دور السلطة الدينية -الفقهاء والصوفية- في تصدي لظاهرة الحرابة بالمغرب الإسلامي (7-9هـ/13-15م)

الملخص:

كان الفترة الممتدة من القرن السابع إلى التاسع الهجريين (13-15م) من أكثر الفترات الصعبة في تاريخ المغرب الإسلامي لكونها كانت غنية بالأحداث، فقد عرفت ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية حساسة للغاية تسببت في بروز العديد من الظواهر والآفات الاجتماعية، وكان أبرز هذه الظواهر الحرابة التي عرفت تفاقم خلال تلك الفترة بسبب ضعف السلطة الحاكمة وسيطرة الكثير من القبائل على المسالك والممرات الرئيسية بالإضافة إلى الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي كان يعاني منها المجتمع، حيث رصدت المصادر بمختلف صنوفها عمليات الحرابة والسطو في المسالك والبوادي وحتى داخل المدن، وأمام هذا الوضع تعاظم نشاط الفقهاء والصوفية الذين لعبوا دورا هاما في حماية المجتمع من هذه آفة من خلال محاولة معالجة الاختلالات وإقرار الامن والاستقرار.

الكلمات المفتاحية: الحرابة، الفقهاء، الصوفية، المغرب الإسلامي.

Abstract :

The period extending from the seventh to the ninth century AH (13-15 AD) was one of the most difficult periods in the history of the Islamic Maghreb because it was rich in events. I experienced an exacerbation during that period due to the weakness of the ruling authority and the control of many tribes over the main tracts and passages, in addition to the difficult economic conditions that the community was suffering from, as various sources monitored the operations of robbery and robbery in the tracts and deserts and even inside cities, and in front of this situation the activity of jurists and Sufis increased. Those who played an important role in protecting society from this scourge by trying to address imbalances and establish security and stability.

Keywords : banditry, jurists, Sufism, Islamic Maghreb.

مقدمة:

كان للمؤسسة الدينية الممثلة في الفقهاء والصوفية بالمغرب الإسلامي دورا هاما في حماية المجتمع من الانحرافات، والتصدي لها والمحافظة على أمنه وتماسكه وعدم انخياره، وذلك في ظل غياب السلطة السياسية وتراجع دورها في القيام بمهامها في الكثير من الأحيان، لاسيما بين القرنين 7-9هـ (13-15م)، ولقد تحمل الفقهاء والصوفية مسؤولية تأطير المجتمع وعبء إصلاحه، وإقرار الأمن والاستقرار مما أدى إلى تعاظم دورهم، وصنعوا سلطة موازية للسلطة السياسية ألا وهي سلطة الفقيه والولي، وكان من أبرز تلك الاختلالات غارات قطاع الطرق واللصوص التي عرفت شيوعا وأثرت كثيرا في حياة السكان.

1- أسباب تفاقم ظاهرة الحرابة في المغرب الإسلامي:

تعد الفترة الممتدة من القرنين السابع إلى التاسع الهجريين (13-15م)، من أكثر الفترات الصعبة في تاريخ المغرب الإسلامي لكونها كانت غنية بالأحداث، فقد عرف ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية حساسة للغاية، تسببت في بروز العديد من الظواهر والآفات الاجتماعية من بينها الظاهرة الحرابة، فلاشك أن ما وصلت إليه أحوال بلاد المغرب خلال تلك الفترة الزمنية، من ضعف السلطة الحاكمة وانتشار اللأمن وسيطرة بعض القبائل على الممرات والمسالك الرئيسية ساهم في تفاقم ظاهرة الحرابة، حيث تحتوي المصادر بمختلف صنوفها على إشارات مثيرة للاهتمام عن استفحال عمليات الحرابة والسطو في المسالك والبوادي وحتى داخل المدن، وامتهان الكثيرين لها.

لا يُخفى أن الوضع السياسي المضطرب بداية بالتأثير البالغ لسقوط الدولة الموحدية مما أدى إلى دخول المغرب الإسلامي في حالة من الفوضى السياسية، التي أدت إلى تدهور الأوضاع في جميع المجالات، وقد استمر هذا الوضع مع الكيانات الجديدة التي تشكلت - المرينيون و الزيانيون والحفصيون - حيث يلاحظ أن هذه الفترة تعد من أشد فتراته اضطرابا، حيث أضحت المنطقة بؤرة توتر دائمة، وذلك من خلال الحروب والفتن الكثيرة التي شهدتها، بسبب العداة والتشاحن بين الدول الثلاث الراغبة في التوسع وسيطرة وبسط النفوذ على مدار ثلاثة قرون⁽¹⁾، وقد خلق هذا فارغ أمني استغلته بعض الأطراف من القبائل والأفراد في ممارسة الحرابة والاعتداء على الناس والسطو على ممتلكاتهم.

كما لعب العامل اقتصادي دور كبير في ظهور وانتشار الحرابة في المغرب الإسلامي، فقد عرف سكان المغرب خلال الفترة المدروسة أوضاعا اقتصادية بصعبة بداية بالسياسة الجبائية التي انتهجتها الدويلات وفرضتها

⁽¹⁾Augustin Bernard : Op. Cit, p104.

عليهم ، فقد شكلت المغارم والمكوس الكثيرة آنذاك عاملا أساسيا في تدهور أوضاع سكان بلاد المغرب⁽²⁾، زيادة على ذلك غلاء في الأسعار واحتكار السلع التي شهدتها المنطقة، وهذا ما انعكس سلبا على الكثيرين، وأرهق كاهلهم خاصة الفئات الهشة، وأشار البرزلي إلى هذه الظاهرة خلال فترة الدراسة؛ فيذكر أن بعض التجار يلجئون إلى احتكار الطعام في السوق، مما يؤدي إلى ارتفاع الأسعار والإضرار بالناس⁽³⁾، وهذا ما يزيد في حدة الاضطرابات والفتن داخل المجتمع⁽⁴⁾ وفي ظل ارتفاع تكاليف المعيشة وغلاء الأسعار في تلك الفترة كان يبحث الكثير من سكان المغرب الإسلامي على أي طريقة ومهما كانت من أجل تحصيل مصدر الرزق، التي لم تجد وسيلة أخرى لسد حاجياتها.

ولا ننسى دور الكوارث الطبيعية كالجفاف والقحوط التي عرفتها المنطقة وحيث تذكر المصادر أنها كانت بصفة دورية وساهمت تلك الكوارث في ظهور العديد من السلوكات المنحرفة، فقد فتم الاعتداء على الناس، وانتشرت السرقة واللصوصية بين أفراد المجتمع المغاربي وتم قطع الطريق بالمغرب الإسلامي على نطاق واسع، واتخذت هذه المظاهر السلبية أبعادا حقيقية في ظل الفوضى المنتشرة وعدم قدرة السلطات على الحد منها⁽⁵⁾.

2- بعض مظاهر الحرابة:

- الإغارة وقطع الطريق على القوافل التجارية:

لقد كانت القوافل التجارية، الأكثر عرضة لهجمات عصابات الحرابة وهدفهم الأول، بسبب ما تحمله من أشياء ثمينة وسلعة وأموال، حيث أخذ هؤلاء اللصوص يراقبون تحركات القوافل الوافدة من المشرق إلى المغرب أو العكس، والمتنقلة بين بلاد المغرب والسودان الغربي ويتصدونها في المسالك من أجل الإغارة عليها وسرقتها. وتبدو هذه الظاهرة بوضوح في مناطق عديدة من المغرب الأوسط والأدنى والاقصى، أين اتخذ قطاع الطرق وعصابات الحرابة الأماكن والمسالك الخالية الغير مأهولة مأوى لهم، بينما يضطر البعض الآخر إلى اللجوء إلى الجبال والأحواز ومفتريات الطرق بغية الحصول على العيش عن طريق اللصوصية والحرابة⁽⁶⁾.

(2) عبید بوداود: الوقف، ص 237.

(3) البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج 3، ص 232.

(4) حميد أجميلي: جوانب من التاريخ الديموغرافي بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط (6-8هـ/12-14م)، تق إبراهيم القادري بوتشيش، منشورات مركز تافيلات للدراسات والتنمية والأبحاث، مطبعة انفو برانت، فاس - المغرب، 2016. ص 163.

(5) خالد بلعربي: وراقات، ص 114.

(6) حميد تيتاو: الحرب والمجتمع، ص 109.

يذكر الحسن الوزان أن صحراء أنكاد الرابطة بين فاس وتلمسان، وهي طريق رئيسي ومهم للقوافل التجارية المتنقلة بين المغرب الأوسط والأقصى، إذ أنها كانت «مأوى لعصابات لصوص من الأعراب على استعداد دائم للفتك بالمارين هناك، حيث الطريق المؤدية من فاس إلى تلمسان. وقلما ينجو التجار من شرهم، لاسيما في فصل الشتاء، لأن الأعراب المستأجرين للحفاظ على الأمن في البلاد يكونون قد رحلوا عنها آنذاك، ويبقى منهم الغير المستأجرين وحدهم ليتعيشوا من اللصوصية»⁽⁷⁾.

ففي المغرب الأقصى مثلا كان المجال جنوبي بلاد القبلة- سوس ودرعة وسجلماسة- تحت سيطرة قبائل بنو معقل الهلالية، بعد أن أقطعت لهم السلطة المرينية تلك النواحي فأحكموا قبضتهم على طرق التجارة بتلك المناطق، وشكلوا مصدر إزعاج للسالكين لهذا المجال، لاسيما القوافل التجارية حيث تشهد تلك المناطق حركة كثيفة للقوافل المحملة بمختلف السلع والمنتجات، أين عملوا على الإغارة عليها والاستيلاء على كل ما وصلت إليه أيديهم مالا كان أو سائمة⁽⁸⁾.

أما في المغرب الأوسط فشملت هذه العمليات عدة مسالك كالمسلك الرابط بين وهران وتلمسان؛ فكانت القوافل التجارية تتعرض للإغارة من طرف بعض القبائل⁽⁹⁾، والأمر نفسه في مسالك مستغانم والتي كانت معقلا لقطاع الطريق، والذين اعترضوا التجار، وهو ما دفع الوزان إلى وصفهم بـ « وحوش ولصوص... وعددهم نحو ألفي فارس »⁽¹⁰⁾، ونذكر هنا إلى أن ابن قنفذ اضطر للبقاء لمدة من الزمن في تلمسان سنة (776هـ/1373م) وعدم قدرته على مواصلة السير نحو قسنطينة، خوفا من قطاع الطرق في المسالك⁽¹¹⁾.

لم يكن الواقع في المغرب الأدنى أحسن حالا من غيره بالنسبة للقوافل التجارية، فقد كانت أغلب المسالك الرابطة بين صفاقس والمهدية والقيروان والجريد أو القيروان وباجة⁽¹²⁾، والفئة المستهدفة بشكل مستمر فئة

⁽⁷⁾ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص11.

⁽⁸⁾ محمد بنخليفة: المستصفي من أخبار القبائل العربية بالمغرب الأقصى، جمعية البحث التاريخي والاجتماعي بالقصر الكبير، مطبعة الأمنية، الرباط- المغرب، 2012، ص59.

⁽⁹⁾ مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص150.

⁽¹⁰⁾ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص51.

⁽¹¹⁾ ابن قنفذ القسنطيني: أنس الفقير، ص105.

⁽¹²⁾ محمد حسن: المدينة والبادية، ج2، ص650.

التجار أصحاب القوافل، لدرجة أنهم كانوا يسعون إلى الحصول على بعض المساعدات الفردية في منطقة نشاطهم للاحتماء من عمليات السطو والإغارة⁽¹³⁾.

ونشطت تلك الغارات على القوافل التجارية في المسالك بشكل دوري ابتداء من نهاية القرن السادس الهجري/12م وبداية القرن السابع الهجري/13م؛ فقد تعرضت القوافل المحملة بالزيت من قفصة إلى القيروان لمحاولة السطو أثناء الطريق⁽¹⁴⁾، علاوة على ذلك كانت معظم القوافل المارة في مسالك المؤدية لمدينة القيروان عُرضة للإغارة من طرف قطاع الطريق فقد اعترضوا القوافل التجارية، ونشير هنا إلى تعرض قوافل محملة بالتمر، والقادمة من بلاد الجريد إلى الإغارة والنهب⁽¹⁵⁾.

- الإغارة وقطع الطريق على قوافل الحجاج:

في هذه المرحلة تميزت الرحلة إلى الحج المتجهة من بلاد المغرب إلى مكة بالصعوبة البالغة في الطريق والمشاق المهلكة، وقد تعددت المخاوف التي تنتاب القوائم على قوافل الحج والمسافرين فيها⁽¹⁶⁾، ومن أكبر المخاوف والصعوبات التي تعترض الحجاج أو ركب الحج هي الإغارة من طرف اللصوص وقطاع الطرق في المسالك، حيث كانت قوافل الحجاج الهدف الأول لقطاع الطرق وعصابات الخرابة، وزادت حدة الغارات على الحجاج منذ القرن الخامس الهجري/11م، لكن وصلت ذروتها مع بداية القرن السابع الهجري/13م في مسالك المغرب الإسلامي. هنا نشير إلى سنة (708هـ/1308م) أين تعرضت قافلة للحجاج قادمة من المغرب الأقصى للنهب والسطو، عند وصولها إلى المغرب الأوسط من طرف بعض القبائل الهلالية وكان ضمن هذه القافلة سفارة مصرية عائدة إلى مصر، وقد تم الاستيلاء على كل الأموال والحمولة التي كان يحملها الركب ولم يبق معهم شيئاً حتى صاروا عراة على حد تعبير المقرئزي⁽¹⁷⁾.

⁽¹³⁾ روبر برنوشفيك: تاريخ إفريقية، ج2، ص247.

⁽¹⁴⁾ ابن ناجي، أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى التنوخي: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان،، تح محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، (د.ت)، ج3، ص209.

⁽¹⁵⁾ ابن ناجي: المصدر السابق، ج4، ص164؛ أنظر محمد حسن: المرجع السابق، ج2، ص650.

⁽¹⁶⁾ عامر عجاج حميد: القوافل بين أمل الوصول وخوف اللصوص، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج9، ع2، جامعة بابل، العراق، 2019، ص366.

⁽¹⁷⁾ المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي: كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تح محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، (د.ب)، 1973م، ج2، قس1، ص49.

كما نشير أيضا إلى وجود نقاط سوداء يتخذ الركب كل احتياطاته عند المرور بها، منها طريق قصر الجحيم بإفريقية، حيث تعرض الحجاج فيه للسطو من طرف أعراب متمركزين في ذلك الطريق⁽¹⁸⁾، والمسلك الرابط بين فاس وتلمسان⁽¹⁹⁾، إضافة إلى المسالك الرابطة بين بجاية وتونس⁽²⁰⁾.

ذكر أيضا البلوي في هذا الشأن ما أصابه من خوف وذعر خشية التعرض للسطو والإغارة من اللصوص أثناء مروره بالمغرب الأوسط، في رحلته إلى بلاد الحجاز والتي أصيب الحجاج أثناءها بالخوف الشديد عند مرورهم به، بقوله: «أنها مسالك للصوص»⁽²¹⁾، وهذا شيء ذكره الرحالة المدجن أثناء رحلته للحج حيث أشار إلى تنامي نشاط اللصوص وما يعانيه الحجاج على طول الطريق إلى الحجاز قائلا: «... من يا سلام سلم مسافرها من الحجاج»⁽²²⁾.

وقد أخبرنا الحسن الوزان لتعرض قوافل الحج للإغارة، في الطريق الرابط بين المغرب الأدنى وبرقة، والذي كان مركزا لقطاع الطرق المغيرين على قوافل الحجاج، وقد وصفهم «بأنهم أكبر لصوص الدنيا وأكثرهم خديعة ومكرا يجردون الحجاج المساكين من ثيابهم، وكانت لهم طريقة فظيعة في سرقتهم، حيث لم يتورعوا عن سقاية الحجاج لبنا ساخنا ثم يحركونهم ويقذفون بهم في الهواء، إلى أن يأخذ هؤلاء الأشقياء في التقيؤ حتى تكاد تخرج أحشاؤهم فيبحث عما يكون في القىء من نقود وذلك لظنهم أن هؤلاء يتلعون النقود حتى لا يعثر عليها معهم»⁽²³⁾، واستمرت هذه الظاهرة في ذلك المسلك إلى بداية العصر الحديث.

تجلى صور المعاناة التي صادفها الحجاج من اللصوص وقطاع الطرق، في تلك الحالة التي رصدها الرحالة البلوي في رحلته للحج، فقد تعرض شخصيا والقافلة التي يسير معها للهجوم من طرف عصابات الخرابة عند خروجه من بلاد العناب سنة (736هـ/1335م) إلى تونس، وصور لنا ما شاهدته بدقة حيث يصف هجوم هؤلاء المحاربين وشبههم بالسيل من قوتهم وكثرتهم، فسجل ما يلي «قطعة من العرب كقطع الليل حملت علينا

(18) العبدري: المصدر السابق، ص196.

(19) المصدر نفسه، ص45.

(20) المدجن الحاج عبد الله بن الصباح: الرحلة المدجن، ص97.

(21) البلوي، خالد بن عيسى: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تح الحسن بن محمد السائح، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين

المملكة المغربية ودولة الإمارات، (د.ب)، (د.ت)، ج1، ص152.

(22) المدجن الحاج عبد الله بن الصباح: المصدر السابق، ص97.

(23) الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص112.

حمل السيل فكان زوال كل ما ملكناه أسرع من لحسة الكلب أنفه»⁽²⁴⁾ وتم نهب كل أمواله وأموال الحجاج المرافقين له.

وتتكرر الحادثة مرة أخرى أثناء رحلة عودته سنة (1339م/740هـ) وهذا بعد خروجه من بجاية وفي طريقه نحو مدينة الجزائر أغارت عليه مجموعة من اللصوص فقال عن الحادثة: « وعندما ملنا للنزول، وعطفنا من تلك الحزون إلى السهول، تصارخت العرب واجتمع الابن منهم والأب، ثم حملوا علينا ظننا أن الجبال إلينا راجفة، وأن الأرض بنا واجفة؛ فصبنا لحر طعانهم وتجرعنا مرارة مراهم»⁽²⁵⁾، لكنهم استطاعوا صد الهجوم وحماية أنفسهم وأموالهم بقوله « لقيناهم بأرماع طوال تبشرهم بأعمار قصار»⁽²⁶⁾، وتلك المشاهد رصدها كذلك ابن بطوطة أثناء رحلته إلى المشرق مع قوافل الحجاج.

3- دور السلطة الدينية في مجابهة هذه الظاهرة:

الفقهاء:

من منطلق مقاصد الشريعة الأولى التي تهدف إلى حفظ النفس والمال في المجتمع الإسلامي، أولى فقهاء المغرب الإسلامي اهتماما عظيما للمسألة الأمنية داخل المجتمع لاسيما مع بداية القرن السابع هجري/13م، حيث أخذت هذه المسألة حيزاً كبيراً من اهتمام الفقهاء، لاسيما مع تأزم الأوضاع وغياب الاستقرار في فترات كثيرة، فعالجوا الكثير من المسائل المتعلقة بالاختلالات الأمنية؛ خاصة المتعلقة بالحراية والخصوصية، وبدلوا جهوداً كبيرة من أجل حماية الأهالي والتصدي للانحرافات التي تحدث في المجال الأمني، ولم يتساهلوا مع من ينشر الرعب بين الناس ويهدد الأمن العام وأمن المجتمع.

وفي هذا السياق اتخذ الفقهاء مواقف متشددة، وصارمة ضد عصابات الحراية، وهذا ما نلاحظه في المسائل التي وردت في المصنفات الفقهية، حيث كانوا يؤكدون في كل مرة على وجوب محاربة هؤلاء المفسدين وقتلهم وعدم، وفي هذا الصدد نشير إلى النازلة التي أرسلها فقيه المغرب الأوسط أبو العباس أحمد المريضي إلى الإمام ابن عرفة (ت803هـ) في شأن قتال قطاع طرق من أعراب المغرب الأوسط سنة 796هـ/1394م، وقد أفتى الفقيه أبو العباس في النازلة لسكان بقتال قطاع الطرق، وحث على جهادهم قائلاً: «... فأمرناهم بقتالهم،

⁽²⁴⁾ البلوي: المصدر السابق، ج1، صص164-165.

⁽²⁵⁾ المصدر نفسه، ج2، صص147-148.

⁽²⁶⁾ المصدر نفسه، ج2، ص148.

وصرحنا بأنه جهاد، لما قاله مالك في المدونة فاجتمع الناس على قتالهم، فهزمهم الله، وقتل منهم خلق كثير»⁽²⁷⁾، وأمرهم كذلك بعدم صفح عليهم «... وياتباعهم وقتلهم بعد الهزيمة، إذ لا تنكسر شوكتهم بهزيمة واحدة لقوتهم، كما أشرنا لكثرة عددهم واستظهر ما على إباحة أتباعهم وقتلهم...»⁽²⁸⁾، وحذا حذوه كل من فقيه بجاية عبد الرحمن الوغليسي (ت786هـ) الذي أجاز قتال قطاع الطرق وملاحقتهم إذا لم تُؤمن عودتهم⁽²⁹⁾، وإلى هذا الرأي ذهب الإمام ابن عرفة (ت803هـ) في إجابته على هذه النازلة بقوله «... الإشارة لثواب مجاهدتهم ورجحانه على جهاد الكفار...»⁽³⁰⁾، لأن قطاع الطرق مخيفون للسبيل ويؤذون، الناس ولا توجد طريقة لردعهم غير القتل وبقتلهم تتوقف أذيتهم للناس⁽³¹⁾، وأيضا فقيه تلمسان محمد العقباني (ت871هـ) واعتبر الأعراب قطاع الطرق مفسدون في الأرض يجب مقاتلتهم وأن جهادهم أحب من جهاد الروم⁽³²⁾.

في ذات السياق نشير إلى غضب أحد فقهاء إفريقية على فارس أبدى رغبة في التخلي عن محاربة قُطاع الطرق، من أجل التفرغ للعبادة والذكر فاعتبر قراره هذا من أعمال الشيطان، ومؤكدا له «أن جهاد المحاربين جهاد فجاهدهم، فإن متّ متّ شهيدا، وإن عشت عشت سعيدا، فرجعت لما كنت فيه»⁽³³⁾.

بلغت الصرامة في التعاطي مع هذه الظاهرة إلى أن فتى الفقهاء بتطبيق العقوبة على الجماعة لما ارتكبه الفرد منها- قطع الطريق-، ومصادرة أموال وممتلكات القبيلة أي العمل على سحقها وإزالتها من الوجود⁽³⁴⁾، لتكون عبرة لغيرها.

ويُعد ابن عرفة من الفقهاء الذين كان لهم دور كبير في محاربة عصابات الحرابة لاسيما في المغرب الأدنى، فألى جانب إجابته عن سؤال فقيه المغرب الأوسط بجهاد هؤلاء المحاربين، دعا الفقيه ابن عرفة إلى «... استباحة أموالهم وإتباعهم في هروبهم والإجهاز عليهم...»⁽³⁵⁾.

⁽²⁷⁾ المازوني: المصدر السابق، ج1، ص383.

⁽²⁸⁾ نفسه.

⁽²⁹⁾ الونشريسي: المعيار، ج2، ص116.

⁽³⁰⁾ المازوني: المصدر السابق، ج1، ص385.

⁽³¹⁾ المصدر نفسه، ص276.

⁽³²⁾ المصدر نفسه، ج4، ص184.

⁽³³⁾ ابن ناجي: المصدر السابق، ج4، ص211؛ أنظر نللي سلامة العامري: الولاية، ص67.

⁽³⁴⁾ محمد العادل لطيف: الخوف ببلاد المغرب في العصر الوسيط، تق: محمد الطاهر المنصوري، زينب للنشر، نابل - تونس، 2019، ص341.

⁽³⁵⁾ الونشريسي: المصدر السابق، ج6، ص155.

تؤكد هذه الفتاوي الدور الذي قام به الفقهاء في تصدي لقطاع الطرق من خلال دعوة الناس لملاحقتهم وقتالهم وجهادهم استناداً لفتاوى مشاهير فقهاء المالكية، بل راح بعضهم يدعوا إلى قتل المصابين، وعدم ترك أي واحد منهم حي، فكانوا بمثابة السلطة الموازية لسلطة الدولة في مواجهة تلك العصابات.

بالإضافة إلى فتوى القتال، اجتهد بعض الفقهاء في مجابهة هؤلاء المحاربين والتضييق عليهم، فكان ثمة مسجد أفتى بعضهم بدم قسم منه بسبب استعمال المحاربين لسطحه في هجوماتهم على بيوت الناس⁽³⁶⁾، وهذا ابن ناجي حرم بيعهم آلات الحرب⁽³⁷⁾، وقد منع آخرون أيضاً عن السكان والتجار بيعهم آلات الحرث وعتدة الفرس⁽³⁸⁾، لأن كل هذه الأشياء كانت تستعمل في عمليات السطو والإغارة وقطع الطريق، وقاموا بحث الناس على عدم استقبالهم ومساعدتهم، ونشير هنا إلى نازلة أوردها المازوني في هذا الباب حيث سئل أحمد بن الحسن « عن رجل كان يلقي المحاربين ويطعمهم وقتلوا النفس التي حرم الله وكان يدعي أنه يأويهم ويطعمهم لخوفه منهم هل يجبس بما عمل أو يُقتل »⁽³⁹⁾.

إلى جانب السكان أمر الفقهاء بعض الأولياء في الزوايا بعدم إيوائهم وإطعامهم وصونهم⁽⁴⁰⁾، واشتهرت مثل هذه الأفعال في المغرب الأوسط والأدنى؛ فقد كان المحاربون يقصدون المرابطون لإطعامهم، ثم يغيرون على الناس بعد انصرافهم من عندهم وكانوا هؤلاء المرابطون مجبورين على فعل ذلك خوفاً منهم⁽⁴¹⁾، لكن بعض الفقهاء رفضوا هذه الحجة، ودعوا إلى عدم تقديم العون لعصابات الحرابة مهما كان السبب في مقدمتهم ابن عرفة قائلاً « لا يعذر المرابطون بالخوف منهم »⁽⁴²⁾.

كما دعى الكثير من فقهاء المغرب الإسلامي خلال الفترة الدراسية إلى تجنب التعامل مع القبائل المعروفة عنها أنها تمارس الحرابة أو بعض أفرادها يمارسون الحرابة ومقاطعتها لاسيما بعض القبائل العربية، فقد نهي فقيه بجاية أبو الحسن علي بن عثمان (ق8هـ) عن بيع أي شيء لتلك القبائل والذي قد يستخدم في الغارات على

⁽³⁶⁾ محمد فتحة: بنو هلال، ص24.

⁽³⁷⁾ سعدي شحوم: موقف فقهاء المالكية من القبائل الهلالية بالمغرب الأوسط، مجلة الحوار المتوسطي، ع/5، جامعة سيدي بلعباس، سيدي بلعباس - الجزائر، 2013، ص19.

⁽³⁸⁾ الونشريسي: المصدر السابق، ج5، ص67.

⁽³⁹⁾ المازوني: الدرر، ج4، ص365.

⁽⁴⁰⁾ الونشريسي: المصدر السابق، ج5، ص67.

⁽⁴¹⁾ محمد حسن: المدينة والبادية، ج2، ص649.

⁽⁴²⁾ الونشريسي: المصدر السابق، ج5، ص67.

الناس مثل الشعير والحيوانات⁽⁴³⁾، ونهى أيضا عن المتاجرة مع تلك القبائل لأن ما لهم حرام، وحصلوا عليه عن طريق الإغارة على القوافل التجارية والسكان⁽⁴⁴⁾، والظاهر أن السبب الثاني الذي دفع الفقهاء إلى حظر التجارة معهم بإضافة إلى ما لهم الحرام، هو الضغط عليهم لترك الحراية حيث لا يجدون من يشتري السلعة التي تحصلوا عليها عن طريق عمليات الحراية والسطو، وبالتالي سوف يكون مجبورين على التخلي عن هذه الآفة.

الجدير بالذكر أن فقهاء الإباضية ساروا على نهج الفقهاء المالكية، فقد تشددوا في تعامل مع بعض القبائل العربية التي تمتهن الحراية، وقالوا أن « كل ما بأيدي العرب ريبة »⁽⁴⁵⁾، ويقصدون هنا المال والسلعة التي يتاجرون بها وذلك، في إشارة إلى أن مصدرها عمليات الحراية ونحوها عن الاقتراب منها، فسدوا بذلك السبيل أمام هذه العصابات الكسب عن طريق بيع ما تحصلوا عليه عن طريق الحراية.

وفي نفس المنحى عمد الفقهاء أيضا إلى تشجيع الناس على الإقامة في المناطق والمسالك المخوفة التي تشهد عمليات قياسية من غارات المحاربين، وفي هذا الباب يُوردُ لنا المازوني في إحدى النوازل التي سئل فيها أبو الفضل العقباني، وهي رغبة مرابط التوجه نحو مسلك معروف عنه أنه خطير، ومركز لعمليات الحراية وهذا بهدف توفير الحماية للمسافرين وتصدي للمحاربين فأجاب: « إقامة المرابط بهذا الموضع الذين كان قبل سكنى هذا به مأوى المحاربين ومهلكة للمسافرين من باب إغاثة اللهفان ودفع الفساد عن أهل الأمان وما أعظم المثوبة في ذلك وما هذا إلا اجتهاد عظيم وشرف دائم مقيم...»⁽⁴⁶⁾، كما عظم هذا العمل واعتبره أشاق قائلاً: « فإقامتك بهذا المكان على رغم أهل الفساد سداد ورشاد وإن شق عليك، فذلك أرفع للعمل الصالح لأنه يصح لوجه الله مولاك لا لغرض يحصل إليك...»⁽⁴⁷⁾، والواضح أن الفقهاء دعموا مثل هذه التدابير والإجراءات وحثوا الناس على ممارستها في سبيل حماية الأنفس والأموال وتوفير الأمن، واعتبروه شرف كبير وجهاد عظيم.

- الأولياء والصلحاء:

لقد سار الأولياء والصلحاء في المغرب الإسلامي على نهج الفقهاء في تصدي لعمليات الحراية واللصوصية، فقد تدخل هؤلاء من أجل وضع حد لهذه الأعمال التي أثارت الرعب بين الناس، وهذا في ظل عجز السلطة عن إيجاد حل لتلك الظواهر، وإحجام العديد من الفقهاء والعلماء في الكثير من المرات عن تدخل في

⁽⁴³⁾ المازوني: المصدر السابق، ج 3، ص 97.

⁽⁴⁴⁾ نفسه.

⁽⁴⁵⁾ الدرجيني: طبقات، ص 490.

⁽⁴⁶⁾ المازوني: المصدر السابق، ج 4، ص 364.

⁽⁴⁷⁾ المصدر نفسه، ص 365.

هذه المسألة بسبب انكفائهم على المسائل النظرية، أو مصاحبة ذوي السلطان لتدبير شؤونهم⁽⁴⁸⁾. حيث وجد فيهم السكان وأصحاب القوافل، والعديد من فئات المجتمع حل لمواجهة مشكلة غياب الأمن وشيوع والخرابة التي كانت تؤرقهم كثيرا، وهذا من خلال الاستنجاد بهم وطلب حمايتهم وتبرك بهم.

كانت قضية حماية الناس والممتلكات وتوفير الأمن، من الاهتمامات الرئيسية للأولياء والصلحاء لذلك قاموا بعدة أدوار في هذا المجال، من خلال تأمين المسالك من قطاع الطرق واللصوص ومرافقة الأشخاص، وتوفير الحماية والأمان لهم لاسيما أثناء عبورهم لمناطق خطيرة، وفي هذا الصدد نشير إلى كلام الحسن الوزان عن جبال مدينة الجزائر في المغرب الأوسط، المعروفة بخطورة مسالكها وأنه يصعب على أحد من أبناء المنطقة أو غريبا عنها عبورها في مأمن، ما لم يكن في رفقة أحد الأولياء وفي حمايته⁽⁴⁹⁾، ونجد أيضا أن القوافل كانت تنتقل من قسنطينة نحو تونس تحت حماية بعض أصحاب الزوايا⁽⁵⁰⁾.

وفي السياق ذاته لجأ الكثير من الأولياء في المغرب الأدنى، إلى تأمين السكان والتجار من خطر اللصوص أثناء تنقلاتهم في المسالك، حيث برزت في هذا المجال أعمال الوالي أبي سالم القديدي (ت699هـ) ومثال على ذلك تأمينه لمجموعة من الناس أثناء خروجهم من تونس⁽⁵¹⁾. ونفس الوضع في المغرب الأقصى فقد أشار الحسن الوزان للوالي الصالح سيدي كانون الذي يقوم بحماية سكان تومكلاست⁽⁵²⁾ من الغارات⁽⁵³⁾.

يبدو أن مرافقة الولي للقوافل التجارة والمسافرين أضحى وسيلة فعالة ومنقذة لهم، مما فرض عليهم اصطحابه في أسفارهم ليقبهم بحرمته وكرامته من الاعتداءات، ومنهم من كان يرتدي المرقعة ليخادع بها قطاع الطرق واللصوص⁽⁵⁴⁾، مثل مكان يحدث في الطريق الرابط بين القيروان وتونس وكان هذا بهدف إظهار فقره أو

(48) عبد الكريم بليل: الدور الاجتماعي والنفسي لبواكير التصوف في المغرب الأوسط (الجزائر)، مجلة تطوير، مج6، ع/2، جامعة طاهر مولاي سعيدة، الجزائر، 2019، ص106.

(49) بوداود عبيد: ظاهرة التصوف، ص257.

(50) Elise Voguet: **Le monde rural du maghreb central (XIVe- XVe s) réalités sociales et constructions juridiques, d'après les nawazilmazuna**, publication de la sorbonne, paris, 2014, p438.

(51) ابن ناجي: المصدر السابق، ج4، ص62.

(52) تومكلاست: تتكون من ثلاث قصور صغيرة، وهي على بعد أربعة عشر ميلا من الأطلس، ونحو ثلاثين ميلا من مراكش. الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص125.

(53) نفسه.

(54) الطاهر بونابي: مظاهر المجال، ص139.

ولايته⁽⁵⁵⁾، كما ساهمت هذه الأعمال في ترسخ بفكرة لدى الناس عن الأولياء حيث أضحت تعتبر علامة من علامات نجاة القافلة التي يرافقها فقير أو وافي من اعتداءات اللصوص مقياسا لمدى نجاعة ولايته فيقال: « إن الفقير الجيد إذا كان في القافلة لم تنهب »⁽⁵⁶⁾.

وللقيام بهذه المهام اتخذ كثير من الأولياء والصلحاء، من البوادي والمسالك البعيدة والأماكن مفرقة لنشاط، وقاموا بتعميرها من خلال إنشاء مراكز للراحة ورباطات وزاويا⁽⁵⁷⁾ التي قامت بدور هام وفعال في حفظ أمن الطرقات والمسالك، ومتابعة تحركات القبائل البدوية وأصبحت مراكز عمرانية هامة للرحالة والمسافرين والتجار⁽⁵⁸⁾، وحتى للحجاج أثناء فترة مرور قوافل الحج، وتكشف المصادر دور بعض تلك الزوايا فزاوية الولي الصالح منصور بن عمر الدليمي في المغرب الأوسط، كان يقصدها الناس طلبا للأمان على أنفسهم وأموالهم⁽⁵⁹⁾، كما اشتهرت زاوية أبي سهيل بالمغرب الأدنى بنفس الأمر وكانت « رحمة للمحتازين ويقدمون لهم ما يحتاجون إليه من زاد وغيره، ويرجعون إليهم ما استلبتهم العرب »⁽⁶⁰⁾، أما بالمغرب الأقصى فقد قام رباط سلابدور هام في حماية السكان والمسافرين، وبرزت فيه جهود الوالي أحمد بن عاشر (ت764هـ)⁽⁶¹⁾.

الملاحظ كذلك، أن المتصوفة ساهموا بشكل إيجابي في توبة الكثير من القبائل التي كانت تمتهن الحراية ودفعهم إلى التحلي عنها، فعلى سبيل المثال أسس عربٌ سويد رباط في المكان الذي بنيت فيه قلعة تاوغزوت⁽⁶²⁾، ونشير أيضا إلى كثرة الرباطات التي أسستها القبائل العربية في منطقة الزاب في القرن الثامن الهجري/14م، والتي كان دورها محاربة قطاع الطرق واللصوص، وتوفير الأمن لسكان والمسافرين والقوافل التجارية⁽⁶³⁾.

⁽⁵⁵⁾ نللي سلامة العامري: الولاية والمجتمع، ص66.

⁽⁵⁶⁾ نفسه.

⁽⁵⁷⁾ عرف ابن مرزوق الزوايا خلال تلك الفترة بأنها « الموضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين ». ابن مرزوق: المصدر السابق، ص413.

⁽⁵⁸⁾ أحمدادو تال ديالو: النقل ووسائله بالغرب الإسلامي الوسيط من خلال كتب فقه المالكي، رسالة دكتوراه تخصص حضارة إسلامية، المعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، 1427هـ/2006م، ص157.

⁽⁵⁹⁾ ابن مريم: المصدر السابق، ص234-235.

⁽⁶⁰⁾ التجاني: المصدر السابق، ص213؛ أنظر سعيد بنحمادة: المرجع السابق، ص207.

⁽⁶¹⁾ سعيد بنحمادة: المرجع السابق، ص208.

⁽⁶²⁾ ابن خلدون: العبر، ج7، ص216.

⁽⁶³⁾ ابن الحاج النميري: المصدر السابق، ص419، 414.

والجدير بالإشارة هو تراجع الكثير ممن امتهنوا الحراية عن هذه الممارسات، حيث أن هناك تجارب واقعية عن جذب عدد كبير من اللصوص إلى السلوك السوي، وتهديب نفوسهم وإصلاحهم وتحويلهم من عناصر شر داخل المجتمع إلى عناصر خير⁽⁶⁴⁾، منهم سعادة الرياحي من بلاد الزاب، والذي ينتمي إلى قبيلة رياح فقد سافر إلى المغرب الأقصى في القرن الثامن هجري، والتقى بأحد الصلحاء ويدعى أبي اسحق التسولي (ق8هـ)، في نواحي تازة، وأخذ عنه ولزمه لفترة من الزمن، ثم عاد إلى موطنه بالضبط طولقة وبعد عودته بدأ في إصلاحات وتغير المنكر داخل قبيلته والتي كان على رأسها تصدي لقطاع الطرق والمعتدين على السابلة من شرار البوادي⁽⁶⁵⁾. في نفس الإطار اشتهر قاسم بن مرا الكعبي من قبيلة الكعوب، الذي جالس المتصوف أبا يوسف الدهماني (ت621هـ) وأخذ عنه، ثم عاد لقومه، واجتهد على تغيير المنكر وأول شيء بدأ به هو الدعاء إلى إصلاح السابلة بالقيروان وما إليها من بلاد الساحل، كما قام بتأسيس جيش صغير يتكون من مقاتلين من بني سليم يسمون بالجنادة وعمل على تتبع المحاربين وقتلهم في المسالك، إضافة إلى غزو المشاهير منهم في بيوتهم، واستباحة أموالهم ودمائهم حتى شردهم كل مشرد⁽⁶⁶⁾، واستطاع بهذه الإجراءات تأمين الكثير من الطرقات بين تونس والعديد من المدن وحماية القوافل والمسافرين، إلى جانب هذان تجربتين هناك تجارب أخرى لقطاع طرق تابوا عن أفعال الحراية وانتهجوا سبيل الصلاح وكل هذه التجارب تؤكد على دور المتصوفة في تأثير على العناصر التي كانت تمارس الحراية.

إضافة إلى ما سبق استخدم هؤلاء الأولياء الكرامات⁽⁶⁷⁾ وقوة صداها بين الناس، كأداة من أجل تغيير الواقع المتردي، وبناء مجتمع تسوده القيم المثل العليا⁽⁶⁸⁾، وعلى هذا الأساس كانت الكرامة سلاحا مهما لتوبة وهداية المنحرفين من اللصوص⁽⁶⁹⁾، وقطاع الطريق ضد فعلهم السليبي وإظهار لهم عاقبة امتهان اللصوصية وقطع

(64) أحمد المحمودي: عامة المغرب الأقصى، ص87.

(65) ابن خلدون: العبر، ج6، ص51.

(66) المصدر نفسه، ج6، ص106.

(67) الكرامات: جمع الكرامة، وهي في اصطلاح أهل العلم كل فعل خارق للعادة جرى على يد من ظهر صلاحه في دينه، سالك مناهج الشرع القويم من الكتاب والسنة في ظاهره ومكون سره وصحيح يقينه، حافظ آداب الشرع منزه عن رذائل الخسة وخسة الطبع، فقد وقع الإجماع على أن الكرامة لا تصح ولا تظهر إلا ممن تمسك بطاعة الله تخصيصا وتفصيلا، كما أجمع العلماء على تجويز خوارق العادة وانخراقها للأولياء. الونشريسي: المصدر السابق، ج2، ص388.

(68) الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/12 و13 الميلاديين (نشأته - تياراته - دوره الاجتماعي والثقافي

والقكري والسياسي)، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة - الجزائر، د ت، ص179.

(69) المرجع نفسه، ص183.

الطريق وكذلك هي طريق لسيطرة والحد من هذه الظواهر⁽⁷⁰⁾، إضافة إلى أنها تؤدي إلى العديد من المرات إلى مواجهة مشاق السفر ومخاطره، فيحصل خرق العادة في التغلب على قاطع الطريق أو التغلب على الخوف⁽⁷¹⁾.

هذا في ظل غياب السلطة وعدم قدرتها على الضبط الأمور الأمنية، وتردد العديد من الفقهاء، تكشف النصوص عن تجارب واقعية للكرامات الأولياء مع هؤلاء المحاربين، فقد نجا خلدن قصر المنستير بالمغرب الأدنى من غارة لقطاع الطرق بفضل بركة الشيخ الصالح الصدي (ت772هـ)⁽⁷²⁾، ونشير أيضا إلى توبة قاطع طريق الذي حاول سرقة الزاهد أبي عمرو الزجاجي (القرن 8هـ/14م) في المغرب الأوسط في بسبب صدقه، وقال له القاطع «... إن الله أنجأك مني بصدقك، وتاب علي ببركتك...»⁽⁷³⁾، وقال أبي عمرو «... وما زال الصدق من علامة لأولياء الله المتقين وبرهان واضحا لعباده الصالحين...»⁽⁷⁴⁾، وفي هذا السياق نذكر الحادثة التي وقعت مع الشيخ عبد الله الهزميري (ت706هـ) في بلاد السوس، حيث حاول المحاربين بعد السطو عليه نزع سره، لكنه رفض بشدة أن تكشف عورته قائلا: لا أزيله إلا أن تقتلني فحرك المحارب فرسه ليضربني، فأخذت الأرض قواسم فرسه إلى الركب، فلما رأى أنها لا تتحرك نزل عنها فلما نزل عنها أبلعته الأرض إلى الركب، فصاح بأصحابه فلما رأوا ما نزل به وبفرسه ترجلوا كلهم وأخذوا يستعطفونني ويعتذرون مني، وقالوا نحن تائبون إلى الله عز وجل⁽⁷⁵⁾.

كما استطاع بعض الناس النجاة من المحاربين، في المسلك الربط بين وهران وتلمسان بفضل كرامة الشيخ إبراهيم النازي (ت866هـ)، حيث قال أحدهم «... ونحن أثناء الطريق وإذا بجماعة من فرسان العرب المعروفين بقطع الطريق، فما تعرضوا لنا ولا التفتوا إلينا، ولما وصلنا تلمسان... تذكرنا بركة الشيخ وعظم كرامته»⁽⁷⁶⁾.

بإفريقية يذكر الراشدي أن أحد الشيوخ تمكن من حماية إحدى القوافل واسترجاع ما سلب منها بفضل بركة الولي أحمد بن عروس (868هـ) بعد أن طلب منه مرافقتها، حيث يقول ذلك الشيخ عن الواقعة «... سافرت فوجدت قافلة عظيمة... قد حاصرها خوف العرب... فما سرت معهم إلا قليلاً وإذا يقوم من العرب لا يحصون قد أغاروا علينا... فأمدني الله تعالى بمدد همة الشيخ رضي الله عنه - أحمد بن عروس -... فكان رجل من

⁽⁷⁰⁾ محمد ياسر الهلالي: لمحة عن العقوبات، ص 176-177.

⁽⁷¹⁾ عبد الأحد السبتي: المرجع السابق، ص 146.

⁽⁷²⁾ ابن ناجي: المصدر السابق، ج 4، ص 174.

⁽⁷³⁾ ابن سعد: روضة النسرين، ص 55.

⁽⁷⁴⁾ نفسه.

⁽⁷⁵⁾ عبد الأحد السبتي: المرجع السابق، ص 146.

⁽⁷⁶⁾ ابن سعد: المصدر السابق، ص 306.

المحاربين يجري فيخر على وجه والفراس يُصْرَع مع فَرَسه فلما رأوا ما هم فيه ولا يرون له منا سببا ظاهرا، اكبوا على واستقالوا وردوا جميع ما حصلوا عليه من قليل الأشياء وكثيرها وسلم الله تعالى القافلة ومن فيها ببركة الشيخ—أحمد بن عروس— رضي الله عنه، ولما عدت إليه قال لي رأيت كيف أغشاك...»⁽⁷⁷⁾،

وفي واقعة أخرى روى أحد المسافرين أنه كان متجه إلى القيروان، وفي الطريق تم السطو عليه من طرف عصابة محاربين، مما دفعه الاستنجاد بالولي أحمد بن عروس ومناداته قائلاً «... وناديت على الشيخ رضي الله عنه ثلاث مرات، وإذا بالقوم قد جمعوا أنفسهم مذعورين وهم يلتفتون يمينا وشمالاً وكأنهم رأوا في طلبهم أحد وولوا هارين، وأنا في أثرهم أنادى بالشيخ، وإذا بكل ما أخذوه لنا أجده ملقى بالأرض حاجة بعد حاجة...»⁽⁷⁸⁾.
وتارة بالدعاء عليهم، وهذا ما حدث مع مُحارب كان يعتدي على الناس ويسلبهم أموالهم في مسالك وهران، فقد دعى عليه الولي محمد بن عمر الهواري (ت843هـ) بعد قطعه الطريق على واحد من أتباعه وأخذ ماله، فسقط به فرسه ذلك اليوم الذي دعا عليه ووجدوه ميتاً⁽⁷⁹⁾.

الخاتمة:

من خلال الدراسة اتضح أن الحرابة من الظواهر السلبية التي استفحلت في المغرب ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين 13-15م، وهذا ما تبينه مختلف النصوص المصدرية، فقد شهدت عمليات قطع الطريق في معظم مراحل فترة موضوع البحث ارتفاعا غير عادي في هذه الظاهرة لدرجة شيوعها— هذا إذا استثنينا فترات السلاطين الأقوياء—، وأسهمت بشكل كبير في إرباك المجتمع وزعزعت استقراره، من خلال بث الرعب وعدم الأمان بين مختلف شرائح وفئات المجتمع.

الملاحظ أن هنالك عدة ظروف ساهمت بشكل واضح في استفحال هذه الظاهرة، بداية بالتحويلات السياسية والاضطرابات الامنية التي شهدتها المغرب مما سمح بنشاط عصابات قطاع الطرق بشكل واسع، إلى جانب العوامل السياسية فإن المتغيرات الاقتصادية الكثيرة من كساد الزراعة والتجارة، وغلاء الأسعار، واحتكار السلع، علاوة على الضغط الجبائي الذي فرضته السلطات، ولا ننسى أيضا دور الكوارث الطبيعية عادت الطريق لشيوع الاعتداءات على الممتلكات.

والجدير بالذكر عن أن عمليات الحرابة استهدفت المسالك والطرق المغرب الغير آمنة، والبعيدة عن أعين السلطة الحاكمة؛ حيث شهدت مستويات قياسية من الغارات وكان التجار والقوافل التجارية الهدف الأول لقطاع الطرق، بسبب ما تحمله تلك القوافل من سلع وبضائع وأشياء ثمينة، هذا ولم تسلم قوافل الحج والحجاج من

⁽⁷⁷⁾ الراشدي: المصدر السابق، ص 438-439.

⁽⁷⁸⁾ المصدر نفسه، ص 478-479.

⁽⁷⁹⁾ ابن سعد: المصدر السابق، ص 185-186؛ أنظر ابن مريم: المصدر السابق، ص 232-233.

غارات عصابات الحرابة، فقد أشارت النصوص أن الاعتداءات وقطع الطريق تزداد خلال فترة الحج وكان الحجاج هدف لهؤلاء المحاربين، وكانوا يتمركزون في مسالك التي يمر فيها الحجاج للإغارة عليهم، وهذا طمعا في ما يحملونه أثناء رحلتهم إلى الحجاز وعودتهم منها.

ولقد تحملت السلطة الدينية ممثلة في الفقهاء والصوفية مسؤولية تأطير المجتمع وعبء إصلاحه، وإقرار الأمن والاستقرار خلال فترة الدراسة، مما أدى إلى تعاظم دورهم وقد كانت الحرابة من الظواهر التي عمل هؤلاء على معالجتها والقضاء عليها فالفقهاء اتخذوا مواقف صارمة من أفعال حرابة ودعوا إلى مقاطعة هؤلاء المفسدين وتجنب التعامل معهم وإلى مقاتلتهم واعتبار جهادهم أفضل من جهاد الكفار، وهذا استنادا لنصوص الشرعية.

أما الأولياء والصلحاء فتدخلوا فعليا لحماية التجار والمسافرين في الطرقات والمسالك، من خلال مرافقتهم وتوفير الأمن للسكان عن طريق دفاعهم عنهم وصد غارات المحاربين، ولا ننسى دورهم في إنشاء المراكز - الزوايا - في المسالك المفقرة بهدف الحفاظ على أمنها وتأمين عابر السبيل، كما استغلوا مكائنتهم الاجتماعية والروحية في دفع الكثير من قطاع الطرق واللصوص للتوبة، واستخدموا حتى الكرامات للتأثير على قطاع الطرق، وجرى رصد تدابير العامة في مواجهة هذه الظاهرة نتيجة الخوف، وكيف تحملت في الكثير من المرات عبء مواجهة عصابات الحرابة، واستخدمت مختلف الطرق والوسائل في سبيل الحفاظ على الأمن والممتلكات.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

المخطوطات:

ابن سعد، محمد بن سعيد الأنصاري التلمساني: روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مخطوط في المكتبة الوطنية، الحامة - الجزائر، رقم 2596.

الكتب:

1. البرزلي، أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي (ت841هـ): جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تقدمه وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 2002م.
2. البلوي، خالد بن عيسى: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تح الحسن بن محمد السائح، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية ودولة الإمارات، (د.ب)، (د.ت).

3. التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد: **رحلة التجاني**، قدمه حسن حسني عبد الوهاب، دار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1981م.
4. ابن الحاج النميري، أبو القاسم برهان الدين إبراهيم ابن إبراهيم (ت774هـ): **فيض العباب وإضافة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1990.
5. ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد الحضرمي (ت808هـ): **العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، وضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1421هـ/2000م.
6. الراشدي، عمر بن علي (توفي بعد 868هـ): **إبتسام الغروس ووشي الطروس بمناقب الشيخ أبي العباس أحمد بن عروس**، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1303هـ/1885م.
7. العبدري، أبي عبد الله محمد بن سعود: **رحلة العبدري**، تح علي إبراهيم كروي، ط2، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق- سوريا، 1426هـ/2005م.
8. المدجن الحاج عبد الله بن صباح (ق8هـ): **أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار**، تحقيق محمد بن شريفة، ط1، دار أبي راقراق للطباعة والنشر، الرباط- المغرب، 2008.
9. ابن مرزوق، الخطيب محمد بن أحمد التلمساني (ت781هـ): **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق ماريا خسيوس يغيرا، تقدم محمود بوعيادة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م.
10. ابن مريم، المليتي المديوني أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد التلمساني (ت1025 أو 1028هـ): **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق محمد ابن أبي شنب، طبع في المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/1908م.
11. ابن قنفذ القسنطيني، أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني (ت810هـ): **أنس الفقير وعز الحقيير**، تصحيح محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس، مطبعة أكذال، الرباط- المغرب، 1965م.
12. الدرجيني، أبي العباس أحمد بن سعيد: **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة- الجزائر، (د.ت).
13. ابن ناجي، أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى التنوخي: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تح محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، (د.ت)، ج3.
14. الوزان الحسن، بن محمد (ت944هـ): **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حاجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1983.

15. الونشريسي، أبي العباس أحمد بن يحيى (ت914هـ): المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجة جماعة من الفقهاء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط- المغرب، 1401هـ/1981م.

المراجع:

16. أحامدو تال ديالو: النقل ووسائله بالغرب الإسلامي الوسيط من خلال كتب فقه المالكي، رسالة دكتوراه تخصص حضارة إسلامية، المعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، 1427هـ/2006م.
17. أجميلي حميد: جوانب من التاريخ الديموغرافي بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط (6-8هـ/12-14م)، تقديم إبراهيم القادري بوتشيش، منشورات مركز تافيلات للدراسات والتنمية والأبحاث، مطبعة انفو برانت، فاس- المغرب، 2016.
18. بلعربي خالد: ورقات زبانية دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني، دار الهومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة- الجزائر، 2014.
19. بنحمادة سعيد: نظام الشرطة بالغرب الإسلامي- نسقية المؤسسات والممارسات الأمنية، منشورات الزمن، الرباط- المغرب، 2017.
20. برونشفيك روبر: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13م إلى القرن 15م، نقله للعربية حمادي ساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1409هـ/1988م.
21. بوداود عبيد: الوقف في المغرب الإسلامي ما بين (7-9هـ/13-15م)، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015.
22. -: ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين(13-15م) دراسة في التاريخ السوسيو-ثقافي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران-الجزائر، 2003.
23. بولقطيب الحسين: الجوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء- المغرب، 2002م.
24. بونايب الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/12 و13 الميلاديين (نشأته- تياراته- دوره الاجتماعي والثقافي والتكريم والسياسي)، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة-الجزائر، د.ت.
25. -: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، النشر الجامعي الجديد، تلمسان- الجزائر، 2020م.
26. البياض عبد الهادي: الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (6-8هـ/12-14م)، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 2008.

27. تيتاو حميد: **الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني**، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، منشورات عكاظ، الدار البيضاء- المغرب، 2010م.
28. حساني مختار: **تاريخ الدولة الزيانية**، منشورات الحضارة وزارة الثقافة، الجزائر، 1430هـ/2009م.
29. حسن محمد: **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، مطبعة أوريسس للطباعة، قصر السعيد- تونس، 1999م.
30. بن خليفة محمد: **المستشفى من أخبار القبائل العربية بالمغرب الأقصى**، جمعية البحث التاريخي والاجتماعي بالقصر الكبير، مطبعة الأمنية، الرباط- المغرب، 2012م.
31. عبد الاحد السبتي: **بين الزطاط وقاطع الطريق أمن الطرق مغرب ما قبل الاستعمار**، دار توبقال للنشر، المغرب، 2009م.
32. المحمودي أحمد: **عامية المغرب الأقصى في العصر الموحدى**، دار رؤية، القاهرة، 2009م.
33. فتحة محمد: **بنو هلال والاندماج الصعب**، من إيناوين إلى إستانبول أعمال مهداة إلى عبد الرحمن المؤذن، تنسيق عبد الأحد السبتي وعبد الرحيم بنحمادة، منشورات كلية العلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط-المغرب، 2012م.
34. نللي سلامة العامري: **الولاية والمجتمع - مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي**، ط2، دار الفارابي، 2006.
35. لطيف محمد العادل: **الخوف ببلاد المغرب في العصر الوسيط**، تقديم محمد الطاهر المنصوري، زينب للنشر، نابل- تونس، 2019م.
36. الهلالي محمد ياسر: **لمحة عن العقوبات العرفية اللصوصية في المجال القروي المغربي خلال العصر الوسيط وبداية العصر الحديث**، ضمن كتاب الأعراف بالبداية المغربية، تنسيق البضاوية بلكمال وفاطمة مسدالي وآخرون، منشورات مجموعات البحث في تاريخ البوادي المغربية، دار السلام للطباعة والنشر، الرباط- المغرب، 2004م.
- المقالات:**
37. بليل عبد الكريم: **الدور الاجتماعي والنفسي لبواكير التصوف في المغرب الأوسط (الجزائر)**، مجلة تطوير، المجلد6، العدد2، جامعة طاهر مولاي سعيدة، الجزائر، 2019م.
38. شخوم سعدي: **موقف فقهاء المالكية من القبائل الهلالية بالمغرب الأوسط**، مجلة الحوار المتوسطي، العدد5، جامعة سيدي بلعباس، سيدي بلعباس- الجزائر، 2013م.
39. عجاج عامر حميد: **القوافل بين أمل الوصول وخوف اللصوص**، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج9، ع2، جامعة بابل، العراق، 2019م.
- مراجع باللغة الأجنبية:**

41. Braudel F, **La méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II**, édit. A. Colin, Paris, 1970. 2t
42. Elise Voguet: **Le monde rural du maghreb central (XIV^e– XV^e s) réalités sociales et constructions juridiques, d'après les nawazilmazuna**, publication de la sorbonne, paris, 2014, p438.